خلفيات التّواجد العُبيدي ببلاد المغرب

Al-Habidi backgrounds in Morocco

ميصابيس نورة[1*]، تازي عائشة [2]

[1] مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)،

n.missabis@univ-chelf.dz

[2] جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف(الجزائر)

tazi.aicha@yahoo.fr

معلومات البحث

تاريخ الاستلام:06 /2024/03

تاريخ القبول:2024/06/30

Printed ISSN: 2352-989X

Online ISSN: 2602-6856

الملخص: أُعتبرت بيئة المغرب ملائم ة لاحتضان مختلف التيارات المذهبية والفكرية والسياسية لذلك وقع اختيار دعاةالعُبيديين لها من أجل تحقيق أهدافهم ا لمسطرة خاصة أنها كانت بعيدة عن أعين الخلافة العباسية بالمشرق، فلم تجد الدّولةالعُبيدية صعوبة في السيطرة عليها ، وحقيقة الأمر أنّ رغبة العُبيديين في بلاد المغرب لم تكن ذات بعد مذهبي بالدرجة الأولى، بقدر ماكانت ترغب في تحقيق غايةاقتصادية عسكريةم تمثلة في جمع الأموال والتي تمكنها من تكوين قوة عسكرية تعتمد عليها في العودة إلى المشرق بقوة لمواجهه عدوها الأول المتمثل في الخلافة العباسية، حيث سنحاول في هذه الورقة البحثية دراسة السياسة الاقتصادية المالية للدولة العبيدية في بلاد المغربوالتي ثبت أن بلاد المغرب تمثل لها مصدرا للقوة خاصة من الجانب المالي والعسكري.

الكلمات المفتاحية: الدّولةالعُبيدية، الشيعة الإسماعيلية، بلاد المغرب، الخلافة العباسية.

ABSTRACT

The environment of Morocco was conducive to accommodating different sectarian, ideological, and political currents. This is why the Fatimid missionaries chose it to achieve their desired goals, especially since it was far from the eyes of the Abbasid Caliphate in the East. This is why the Fatimid state did not find it difficult to control it. In fact, the Fatimids' desire for Morocco was not for the purpose of spreading their sectarian ideas, but rather to achieve their economic and military purpose. This purpose was to collect money that would enable them to form a military force to establish a state for them that would enable them to return to the East to confront their first enemy, which was the Abbasid Caliphate. This proves that Morocco represented a source of strength for them, especially from the financial and military aspects.

Keywords: Al Obaidiya, Ismaili Shia, Morocco, the Abbasid State.

* المؤلف المرسل

1.مقدّمة:

شهد بلاد المغرب ظهور عدة كيانات سياسية وفكرية ومذهبية ، حيث أسهم بُعدُها عن الخلافة العباسية بالمشرق دورا كبيرا في استقطاب أصحاب مختلف التّيارات الفكرية الذين سعوا إلى ترسيخ ونشر أفكارهم، وما ساعد في هذا الزخم من الأحداث بالمنطقة ظروفها السياسية المواتية التي ساعدت على احتضان مختلف التّيارات وجعل البلاد المغرب بيئة ملائمة لانتشار التّيارات الفكرية والمذهبية على رأسهم المذهب الشيعي الإسماعيلي ، الذي يُعتبر من أكثر المذاهب التي نجحت في تشكيل كيان سياسيي أحدث عدة تغيرات ببلاد المغرب وهذا الكيان متمثل في الدّولةالعُبيدية.

بما أنّ بيئة المغرب كانت حاضنة للتّيارات المذهبية مثل المذهب الإباضي والصفري الذي انتشر بين سكان بلاد المغربلم يجد العُبيديون صعوبة في التوغل إلى المنطقة (ابن خلدون، 2000، صفحة 21) على العكس فقط ساعد هذا العُبيديين من نشر دعوتهم بين النّاس خاصة بعد نجاح أبو عبيد الله الشيعي من جمع الناس حوله، وهذا سارع في التّرحيب بمؤسس دولتهم، وهو عبيد الله المهدي، فالدّولةالعُبيدية هي إحدى الدول المعروفة في التاريخ الإسلامي بأنّها اتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهباً رسميا لها، وكان غلوهم في أفكارهم المذهبية من بين الأسباب التي جعلت الدّولة العباسية تضيّق الخناق عليهم لذلك رحلوا إلى بلاد المغرب أين تمكنوا من استقطاب جماهير كبيرة وسط قبيلة "كتامة البربرية (ابن خلدون، 2000، صفحة 195)" بالخصوص، وقد عرف على العُبيديين قدرتهم على الاستفادة من كافة المكونات البشرية لدولتهم المنتمية للتكتلات العنصرية المتنوعة كالبربر والتركي إلى جانب العنصر الأساسي وهم العرب(ابن عذارى، 1998، صفحة 160)، ولهذا فإنّ المشروع السياسي المذهبي العبيدي كان يسعى لتحقيق هدفين وهما:

- تأسيس دولة بعيدة عن أعين المركز بالمشرق.

- تكوين قوة عسكرية ومالية تمكنهم أيضا من الانتقال إلى مصر باعتماد المغرب نقطة انطلاق لهم، وهذا ما جعلنا نطرح الإشكالية التّالية:

إلى أي مدى استغل العُبيديين الإمكانيات البشرية والاقتصادية لبلاد المغرب في تحقيق مشروعهم الرامي للقضاء على الخلافة العباسية؟

02. قيام الدّولةالعُبيدية

قبل التّطرق إلى قيام الدّولة العبيدية ببلاد المغرب والتحدث عن طرق وأساليب تكوين قوتها العسكرية والمالية لا بد من الإشارة إلى نسبهم للتّعرف على أصولهم التاريخية وأسباب ادعاء نسبهم لآل البيت.

2 – 1 – نسب العُبيدين

لقد طرحالكثير من التساؤلات حول نسب العُبيدين فاختلفت المصادر في تثبيت حقيقة هؤلاء، فهناك بعض المصادر حملت في طياتها معلومات حول حقيقة نسبهم، فهناك من يؤيد فكرة انتسابهم لفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم (عبد الرزاق .1999، ص169). زوجة علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن طريق جعفر بن المصدق بن محمد المكتومين إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق (ابن خلدون، 2000، صفحة 449)،فكان المقريزي وابن الأثير وابن خلدون من المؤرخين الذين أتوا بأدلة رأوها كافية لإثبات صحة النسب ، فنجّد المقريزي يستدل بقول موسى الكاظم لما سُئل عن ظهور القائم وزمنه، (الشهرستاني، 1993، صفحة 19) فأشار إلى ظهور عهود من نور ساطع يأتي من السماء يكون رأسه في المغرب وأسفله بالمشرق، وهذا بالنسبة له دليل كافي على نسبهم،أمّا ابن الأثير فقد ركز على تأكيد نسبهم لقصيدة لأحد العلويين وهو الشريف الرضي الذي أورد قصيدة يتغنى بها بنسبهم ويعتز بانتمائه إليهم قائلا :

ما مَقامي علَى الهَوانِ وَعِندي مِقوَلُ صارِمُ وَأَنفُ حَمِيُّ

أَلبَسُ الذُلَّ في دِيارِ الأَعادي وَبِمِصرِ الخَليفَةُ العَلَوِيُّ

أمّا ابن خلدون فقد ذكر في مقدمته مسألة نسب العُبيدين، ووصف مسألة الطعن في نسبهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بأنها مسألة واضحة وأحاديث لفقت من طرف الذين يعادون كل ما خالف الدولة العباسية (ابن خلدون، 2004، ص256) بإضافة إلى القاضي النعمان الذي يعتبر من أهم علماء الإسماعيلية الذي أكد على نسبهم وربطه بعلي رضي الله عنه وفاطمة الزهراء عن طريق محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

وفي المقابل هناك العديد من العلماء من أنكر نسبهم الفاطمي وعلى رأسهم الشريف العلوي أخو محسن بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق، كما تحدث الإمام الذهبي عن نسبهم قائلا:" إنّ المهدي أول حكامها، وهي نسب المهدي أقوال حاصلة أنه ليس بما تسمي ولا فاطمي ". وقال أيضاً " و ادعى هذا لمدبر أنه فاطمي من ذرية جعفر الصادق مبيناً رأي الكثير من العلماء حول عبيد الله المهدي " وادعى أنه علوي فاطمي فكذبوه". وأورد أقوال لبعض العلماء التي تؤكد أنهم أدعياء، ومن قوله عن عبيد الله " المحققون على أنه دعي". ومما قال " فإن جدهم دعي باختلاف(ولد دادة، 1977، صفحة 53)"، تم فصل ما قاله القاضي أبو بكر بن البقلاني عن عبيد الله أصله مجوسي، وبعد دخوله إلى المغرب إدعى النسب العلوي ليكسبوا عطف وتأييد العالم الإسلامي. وهؤلاء المنكرين لنسبهم يرجعون نسبهم إلى عبيد الله بن ميمون القداح بن ديصان البوني (ابن الأثير، 2012، صفحة 446)ومن أقدم الرويات عن نسب الفاطميين ورده إلى عبد الله بن ميمون ، هي رواية عبد الله محمد بن رزام الكوفي الذي أوردها في كتابه رداً على الإسماعيلية ، وخلاصة قوله أنّ نسبهم يعود إلى عبد الله ميمون المعروف بالقداح (ابن الأثير، 2012، صفحة 492)

إنّ لقب الفاطمي الذي عُرف به عبيد الله المهدي والذي تغنى به لم يكن سوى مجرد غطاء يغطي على نسبهمالحقيقي وانتسابهم لعلي وفاطمة رضى الله عنهما، ولكن حقيقة نسبهم تعود إلى ميمون القداح الفارسي الأصل

وقد فصلت فيها الكثير من المصادر التي ردت على مصادر الشيع ية التي حاولت جاهدة ربط نسبهم بآل البيت لإعطاء شرعية لدولتهم.

2 – 2– قيام الدولة العُبيدية

وصل المذهب الشيعي الإسماعيلي الى بلاد المغرب منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وكان الإسماعيليون يختارون الدعاة الأكفاء لنشر مذهبهم، (القاضي، 1986، صفحة 19)فنجد أبو عبد الله الشيعي هو من استكمل الطريق لقيام الدولة بعد أن سبقه من الدعاة في نشر ووضع أسس المذهب الإسماعيلي في بلاد المغرب و على رأسهم الداعيان أبي سفيان والحلواني اللذان أُرسلا من قبل ابن حوشب (القاضي النعمان، 1986، ص19). وقال لهما : "المغرب أرض بور فأذهبا واحرثاها حتى يجئ صاحب البذر" ، وهناك روايات أخرى ذكرتها المصادر أنّ من أرسل الداعيين هو جعفر السابق، فنجدها عند كل من القاضي النعمان (القاضي النعمان، 1986، ص23). وكذلك ابن خلدون (ابن خلدون ، ص 32) و المقريزي (المقريزي، ص 41) فاستقرا في مناطق مختلفة في بلاد المغرب أين حرص على إخفاء حقيقية مذهبهم، فنزل الحلواني بمنطقة سوفجمارأمّا أبو سفيان فاستقر بمنطقة تالة (نزهة المشتاق، ص 63) وبهذا انتشرت مذاهب التشيع ببلاد المغرب وتمكنوا من استمالة أهل تلك النّواحي إليهما، حتى ماتا الداعيان(ابن الأثير، 2012، صفحة 450)وبوفاتهما وصل الخبر إلى ابن حوشب فأرسل إلى أبي عبد الله الشيعي (عبد الله بن منصور، ص60) لإتمام الدعوة العبيدية وأخبره " إنّ أرض كتامة من المغرب حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا، وليس لها غيرك فبادر فإنّها موطأة ممهدة لك"(ابن الأثير، 2012، صفحة 451).

اتجه أبو عبد الله الشيعي إلى مكة للحج وهناك التقى برجال من قبيلة كتامة فدعوه للخرج معهم إلى بلاد المغرب، وادعى في البداية أنه معلمقرآن، وسألهم عن خبر بلادهم وعشائرهم كل ذلك للتمويه وحتى لا يلفت النظر أنه يخطط للانتقال معهم، فادعى أنه كان ينوي الرحيل الى مصر وهناك ألحوا عليه فنزل عندهم سنة 280هـ/893مأين جاهرهم بحقيقته قائلا : "يا أهل كتامة إنكم أنصارنا والمقيمين لدولتنا، وأن الله يظهر بكم دينه ويعز بكم أهل البيت، أنه إمام مركم وأنتم أنصاره، وأن الله سيفتح الدنيا كلها، ويكون لكم أجراً مضاعفاً (ولعلى أهم ما ساعد عبد الله الشيعي في كسب تأكيد قبيلة كتامة، هو قوة شخصيته بإضافة إلى ذكاءه السياسي والعسكري، فقد كان على إطلاع كبير من العلوم، وهذا ما ساعده على إلهام حماس الكتامين وصبغ دعوته بالصبغة الدينية (القاضي 1986،ص 19) فقد أقنعهم أن اسم قبيلتهم من أهم أصول مذهبهم وهو الكتمان، فأصبحت هذه القبيلة العصب العسكري للدولة العُبيدية ببلاد المغرب (موسى لقبال، 1979،ص171)، حيث لعبت دوراً كبير في نصرة المذهب الشيعي الاسماعيلي.

2 – 3 – تولي عبيد لله المهدي الحكم :

بعد استقرار الأوضاع لأبوعبد الله الشيعي أرسل رجاله من كتامة إلى عبيد الله المهدي في الكوفة ليخبروه بما فُتح لهم وأنهم بانتظاره (المقريزي، ج1، 1996، ص 56) لذلك خرج عبيد الله المهدي رفقة ابنه وبعض مرافقيه متنكرين في زي التجار ولما اكتشف أمره قبض عليه من قبل متولي سلجماسة اليسع بن مدرار بأمر من المعتضد العباسي (اليافعي، ص162) عندها تحرك أبو عبد الله الشيعي بعد استيلائه على رقادة أين قام بحذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة وتوجه إلى سلجماسة فلما علم اليسع بن مدرار بذلك فرّ من المدينة وأخلى الجو له فتمكن من إخراج المهدي وابنه أبو القاسم وحبسهما (عماد الدين إدريس ص 133) ، ثم توجه عبد الله المهدي رفقة داعيته إلى رقادة وأقام بدار الهجرة وهي المدينة التي بناها أبو عبد الله الشيعي بجبل إيكيجان أين تم استقباله بحفاوة وأول عمل قام به هو تحصيل الأموال التي كانت على أيدي الدعاة التي دفنت هناك فأحضروها إليه (القاضي النعمان ، ص 1383) ولعلّ هذا الأمر كان إشارة إلى الأهداف الحقيقية للدولة العبيدية ببلاد المغرب.

3. السياسة المالية للدولة العُبيدية ببلاد المغرب:

لم يختلف شأن العُبيديين عن بقية الدول الأخرى فقد لعبت دورا لا يستهان به في توسيع نفوذها داخل المغرب الإسلامي كما أنها حاولت منذ وطأت أقدامها المغرب السيطرة على مختلف طرق الذهب للتحكم في تجارتها (بن موسى، 2011، صفحة 133) وكانت سياستها قائمة على جمع المال بكل الطرق والوسائل، ولم تكن لهم بلاد المغرب سواء مصدر للثروة (بن موسى، 2011، صفحة 134) وليس مكانا للاستقرار والدليل على ذلك أنهم لم يقوموا بتعميرها، ولم يخلفوا أي أثار ما عدا المهدية (الفقي، دون سنة، صفحة 178) التي أنشأها الخليفة العبيدي الأولعبيد الله المهدي سنه 300هـ/912م، وقد اختار بنفسه مكانها الحصين بسبب خوفه من تمرد قبيلة كتامة بعد قتله الداعية أبو عبد الله الشيعي(الفقي، دون سنة، صفحة 179)، وقد اتبعت الدّولةالعُبيدية عدة طرق أساليب لاستنزاف خيرات بلاد المغرب السيطرة عليها نذكر أهمها:

1.3. السيطرة على الطرق التجارية:

تشهد المهدية على حجم الأموال التي كانت بحوزة العُبيديين فقد ساعد احتلال كل من تيهرت وسلجماسة سنه 296 هـ/ 906 م(بن موسى، 2011، صفحة 140) على بسطنفوذهم على التجارة في بلاد المغرب نظرا إلى وقوعها على طريق القوافل القادمة من الصحراء ، كما حاولت الدّولة العبيدي ة السيطرة على طريق التجاري بين سُلجماسة وأوغست بلاد الغان(بن موسى، 2011، صفحة 80) من أجل الحصول على الذهب السوداني الذي مكن العبيديين من ضمان بعض الاستقرار داخل بلاد المغرب ، كما كشف لنا ابن عذارى عن بعض الممارسات العبيديةي المالية المتشددة التي اتبعها المهدي وبقيه الخلفاء من بعده في فرض مكوس وضرائب غير شرعية على الحجاج عند مرورهم من بلاد المغرب، فقد انفرد برواية ذكر فيها:" أن عبيد الله المهدي أمر أن يكون الحج عن طريق المهدية لأداء ما عليهم من الضرائب بينما طريق الحج هو مصر وليس المهديةِ(ابن عذارى، 1998، صفحة 221)

2.3. فرض الضرائب:

والدارس لسياسة المالية العبيدية يجد أنّها حاولت أن تجد للضرائب التي فرضتها على الأتباع سندا فقهيا وشرعيا، وجعلتها ثابتا من ثوابت مذهبها (القاضي، 1986، صفحة 62)، وهذا يفسر الصبغه الدينية التي أعطاها الخلفاء للضرائب التي فرضوها على الناس، وكل ذلك لتحقيق هدفهم الأساسي في جمع الأموال التي ساعدتهم في تجهيز جيوشها لترسيخ مذهبها، ومن هذه الضرائب: ما قام به الداعي أبو عبيد الله الشيعي عند الترويج للمذهب الشيعي الإسماعيلي ببلاد كتامه فقد كان يأخذ من الاتباع الزكاة فجمعت له الأموال الكثيرة تركها بأيدي الدعاة والمشايخ من كتامة ليزيد من تمسكهم بالمذهب ودفاعهم عنه إلى أن أخذها المهدي منهم عندما قدم من سُلجماسة إلى رقادة(حسن إبراهيم، 1974، صفحة 144)بالإضافة إلى فرضه م ضريبة الخُمس الخاصة بالإمام التي تعتبر من أهم مبادئ المذهب الشيعي، وهو في دور التستر، وتؤكد أن الحركة الشيعية العبيديةكانت تعرف سلفاً أهمية المال لتحقيق أهدافها فالمهدي خرج في طريقه إلى بلاد المغرب محملا بالمال في هيئة تاجر، وعند وصوله إلى سُلجماسة كانت الدنانير الذهبية التي أخرجها هي من تسببت في لفت الأنظار إليه واعتقالهلذلك عمل المهدي بعد الكشف عن شخصه عن العمل على جمع المال، وعمل على الاستحداث عدة ضرائب منها ضريبة التضييع والتي تعرف أنها ضريبة تخص الأراضي الزراعية ووضعيتها من منطلق أنها كانت أرض صلح أو عنوة، لذلك استفاد العبيديون كثيرا منها بمصادرة الضياع التي كانت بحوزة الأغالبة (القاضي، 1986، صفحة 60) التي فرضت سنه 305 هـ/917م على الفلاحين وكانت مرهقة لهم وأدت إلى إفقارهم(ابن عذارى، 1998، صفحة 182)، وكذلك جعل في المهدية ضرائب إجباريةٍ حيث يكون التوقف في موضع معلوم لأداء ضريبة تسمى الشطور علما أن الطريقة المختصرة كان هو طريق مصر وهذا يوضح أن هذه الضرائب ما هي إلا وسائل لجميع الأموال، وليس ضرائب ذات شرعية.

3.3. مصادرة أملاك المخالفين:

من خلال تتبع الغرامات والمصادر وفرض الأموالكعقوبات جماعية أو فردية التي فرضها المهدي فتح مصدر دخل جديد لبيت المالففي سنة 300 هـ/ 912 م، عندما خرج المهدي بجيوشه إلى طرابلس أغرم أهلها، وأخذ أموالهم كما أنّهأغرم سكان برقة ب 100,000 دينار تحت تهديدهم بالقتل، وأخذت جميع أموال بني جمال المزاتي بدعوة أنّهم أساؤوا إلى الإمام عند قدومهم من مصر وكذلك فعل ولي العهد أبو القاسم (ابن عذارى، 1998، صفحة 250) حيث نهب أموالها، وجنى خراجها سنه 308 هـ/919م، وهو نفس ما حدث في سنة 309هـ/ 921م، وفي نفس السنه كانت أموال أهل القيروان هدفا لغارات أبي السعيد الضيف، وعندما اشتكى المتضررون للمهدي حلف بأنه لا يعرف.

كما كان هناك مغارم على المستوى الفردي من أشهر الأمثلة ما وقع لأبي جعفر بن خيرون، وهو من أغنياء تجار القيروان الأندلسيين الأصل الذي كان يمتلك العديد من الفنادق المجاورة لسجن المدينة حيث نهبت أمواله عند وفاته سنة 300 هـ/912 م، كما حدث مع القاضي المروزي الذي شهد "بأن قبله وديعة كبيرة" (القاضي، 1986، صفحة 225) فطولب بها، وعذب حتى مات بسبب رفضه تسليمه الأموال فكانت العقوبات التي تفرض على المدن واهلها من أهم موارد بيت المال.

بالإضافة إلى الغنائم التي يُؤْتَى بها من بعض المدن الخارجية أيضا من روافد بيت المال بالمهدية (لقبال، 1979، صفحة 205)، ومن أمثلة ذلك ما حدث في غزوه مدينه أغاتي سنه 310 هـ/922 م. حيث عاد الحاجب قائد الأسطول بالسبايا والهدايا إلى الخليفة العبيدي المهدي الذي كان آنذاك يعرض جواهر وأموال مدينه واردي (اورديه)، وهو يقول **"اللّهم أعطاني من الجمل إلا أذنيه"** ثم قام المهدي يتتبع ما نهب من قصور رقادةفاسترجع كثيرا مما أخذ منها من أيدي الناس، وطالبهم بها فاجتمعت له أموال كثيرة حتى أحدث المهدي ديوانا لبيت المال(القاضي، 1986، صفحة 50) علما أن الدواوين في الدولة العبيدية لم تكن في ضمن التنظيمات الإدارية في المرحلة المغربية باعتبار أن كل الصلاحيات السياسية الإدارية كانت بيد الخليفة وحده.

جعلت الدّولة العبيديةِ من المال التي كانت تجمعه سبيلا لإنشاء جناح عسكريين قادر على إسقاط القوى السياسية التي كانت تحكم بلاد المغرب في تلك الآونة بإضافة إلى استغلالها في إعداد الجيوش والأساطيل في نشر المذهب الشيعي والاستعداد من أجل نقل ملكها ودولتها إلى مصر.(حسن إبراهيم، 1974، صفحة 123).

4.أبعاد السياسة المالية العبيديةِ:

ظهرت أهمية وأبعاد هذه السياسة والضرائب التي فرضت ببلاد المغرب من خلال الإعداد للانتقال إلى مصر ونلمس ذلك في الحملة العسكرية التي جهزها المعز لدين الله (ابن عذارى، 1998، صفحة 261) التي كان مصدرها جباية الضرائب المختلفة فقد أُرسِل جوهر الصقلي إلى قبيلة كتامة لجمع الضرائب في المغرب الأوسط في سنة 350هـ/961م حيث جمع حوالي نصف مليون دينار ،بالإضافة إلى ما أخذه من خزائن المهدية(المحاسن، 1963، صفحة 28)، ويُذكر أن العُبيديين جهزوا لهذه الحملة ما يقارب 24 مليون دينار، حيث ينقل لنا محمود مقديش أن المعز لدين الله العبيدي لما جهز حملة جوهر الصقلي إلى مصر "زودها بالأموال الضخمة ما يعادل ألف حمل من المال والسلاح، ومن الخيل والعدد مالا يوصف "(محمود مقديش، 1988.ص355)وكل هذا ساعد في إنجاح حملة جوهرالصقليسنة 358هـ/969مفي السيطرة السريعة على الأوضاع في مصر ،وبناء قصر ضخم لاستقبال الخليفة العبيدي ومنازل للوزراءوللجند، كل هذه التجهيزات من أجل التحضير لانتقال العبيدين من بلاد المغرب إلى مصر وعلى رأسهم الخليفة الرابع المعز لدين الله(الشهرستاني، 1993)(ابن الخطيب، 1964، صفحة 159)الذي انتقل من بلاد المغرب سنه 362هـ/972م حاملا معه الكثير من الأموال والفرسان، وهذا إن دل ف إنما يدل على استنزاف خيرات وثروات بلاد المغرب، وهو أكبر دليلعلىالخلفية الاقتصادية للدولة العبيديةِ من خلال فرضها لكل هذه الضرائب،وسبب ذلك تخوفها الدائم او بالأحرى إدراكها لحتمية فقدان سيطرتها على البلاد المغرب.

وفي نفس السياق ذكر ابن الأثير أنّ المعزلدين الله لما انتقل إلى مصر نقل الأموال والأمتعة " حتى أن الدنانير سبكت وجعلت كهيئة الطواحين، وحمل كل طاحونتين على جمل وسار عنه ما"(ابن الأثير، 2012، صفحة 330)ويضيف ابن ثغري أن المعز دخل مصر ومعه خمسمائة جمل موسوقة ذهباً وعيناً وأشياء كثيرة غير ذلك، فلما انتقل المعزلدين الله إلى مصر سنة 362هـ/972هـ (ابن خلدون،2000، ص 206). كان على دراية تامة أنّ تلك التبعية الظاهرة لدّولته لن تدوم طويلا وهذا ما نستنتجه من الوصية التي تركها لمن خلفه على بلاد المغرب وبلكين بن

زيري التي كانت ترتكز على ضمان التبعية المالية والسياسية دون التركيز على التبعية المذهبية قائلا :" إن نسيت شيئاً مما أوصيتك به فلا تنسى ثلاث لا ترفع الجباية عن البادية ولا ترفع السيف عن البربر، ولا تول أحد من أهل بيتك، فإنهم يرون أنهم الاحق بهذا الأمر منك، وأوصيك خيراً بأهل الحضرة ."(القيرواني، 1869، صفحة 74)ومما قام به المعزز كذلك كمحاولة لضمان التبعية المالية لبلاد المغرب أنه أوجد رقابة على الأموال في إفريقية فجعل من الرجال ما عُرفوا بولائهم الشديد للعبيديين فعين زيادة الله بن القديم على الجباية بمساعدة عبد الجبار الخراساني وحسين بن خلف الموصدي في إدارة الشؤون المالية(ابن الأثير، 2012، صفحة 331)

وإن الأحداث التاريخية التي شهدها بلاد المغرب بعد انتقال العبيديين إلى مصر تثبت لنا حرص العبيديين الشديد على الحفاظ على التبيعية المالية على حساب التبعية المذهبية، فلا نكاد نشهد أي ردة فعل عندما قرر حماد بن بلكين إعلان الدعوة للخلافة العباسية وإعلان المذهب السني كمذهب رسمي لدولته، والظاهر انهم اكتفوا بتبعية الزيريين في إفريقية باعتبارهم يسيطرون على طرق تجارية برية وبحرية مهمة من شأنها تغطية العجز المالي الذي قد ينتج عن انفصال المغرب الأوسط، لكن بمجرد انفصال المعز بن باديس وقطع الدعوة للعبيديين نجدهم يستشيطو ن غضبا ويتحرقون للانتقام من هذا الانفصال الاقتصادي بالدرجة الأولى. الذي من شأنه ان يحدث خللا في التموين العبيدي الذي كان مصدره الأول بلاد المغرب.

05.رد فعل سكان المغرب على الممارسات المالية للدولة العبيدي:

لعل ما فعلته الدّولة العبيديةَ من إجراءات لفرض سلطتها وسيادتها على بلاد المغرب جعلهم منذ البداية يدركون أهدافهم الخفية خصوصا لما قام المهدي أبو عبد الله الشيعي الذي مهد له الطريق، وبسط له النفوذة والسلطة ببلاد المغربوهذا الفعل وضح نيةالعُبيديين فتكاثرت عليهم القبائل، وتزايدت الصراعات بينهم وبين قبائل بلاد المغرب.

إنّ إثقال الناس بكل تلك الإجراءات المالية تسببت في ثورات وتمردات على الدّولة العبيدي ة ببلاد المغرب،لدرجة أن هذه الثورات تسببت في ضعف الأحوال الاجتماعية، وذلك ما ذكره ابن حوقل (ابن حوقل النصيبي، 1992، صفحة 93) عن سوء الأحوال نتيجة الوضع الأمني والحروب التي تسبب فيها العُبيديين (لقبال، 1979، صفحة 103)

كانت أول الثورات ضد العُبيديين ثوره الكتامين التي تعتبر من أهم أسبابها مخلفات السياسة المالية التي انتهجها عبيد الله المهدي ، فالكتاميين فقدوا الكثير من الامتيازات المالية بمقتل أبو عبد الله الشيعي، الذي كان يؤثر ترك الاموال التي يجبيها من الضرائب والزكاة بيد كبار شيوخ قبيلة كتامة كمحاولة منه لضمان ولائهم وتبعيتهم وتمسكهم بالدعوة الجديدة ، إلى أن أخذها المهدي منهم عندما قدم من سُلجماسة إلى رقادة(حسن إبراهيم، 1974، صفحة 144)، كذلك ما قام به المهدي ضمن حركة التطهير التي قام بها في الجهاز الإداري ضد المتعاطفين مع الداعي أبو عبيد الله الشيعي بعد مقتله وما من مذبحة في القيروان سنة 199 هـ/911 م(لقبال، 1979، صفحة 202) وبسبب هذه المذبحةكانت النتيجة الحتمية هي عودة الكتامين العاملين في منطقة العاصمة رقاد إلى بلادهم، وأعلنوا ثوره على عبيد الله المهدي

والجدير بالذكر أن ثورة الكتامين كانت على شكل دعوة عبيديه جديدة حيث نصبوا الدعاة على النسق الذي قام به أبو عبيد الله الشيعي وقد تمكنت هذه الانتفاضة من تحقيق بعض الانتصارات ، إلى غاية تمكن القوات العبيدية التي سارت في 25 رمضان 299 هـ/ 911 م بقيادة ابي القاسم (ابن خلكان، دون سنة، صفحة 250)من اجتياح بلاد كتامة بعد الكثير من العناء ليس في حرب ثوار فقط بل في غدر زعماء الكتامين وجلدهم، وتمكنوا من إعادة الأمن والهدوء بالمنطقة، وأعادوا الثورة مرة أخرى سنة 344 هـ/945 م، أين تمكن المنصور من القضاء عليها.

وثارت قبائل هوارةبقيادة زعيمهم ابي هارون الهواري الذي حاصر طرابلس بمساندة بعض القبائل الزناتية منها قبيلة لماية وبعد أن دخل ابي قاسم مدينة طرابلس عنوة تتخلص ممن كان فيها، وفرض عليهم غرامة مقدارها 3400 دينار(ابن الخطيب، 1964، صفحة 54)

ومن أهم الثورات التي واجهتها الدّولة العبيدي ة، وكانت الأسباب أخرى غير سياستها المالية هي ثوراتها مع قبيله زناتةفللدّولة العبيدي قضت سنواتها الأولى في محاربة هذه القبيلة، بسبب اختلافاتهم المذهبية لأن أغلب بطون هذه القبيلة كانت تدين بمذاهبك الإباضية، وهذا يدخل في طبيعة العداء بين الشيعة والخوارج (ابن خلدون، 2000، صفحة 73)لذلك فشل العبيديون في ضم قبيلهم، ومن أهم مواجهاتهم مواجهة الفك مديك سنة 299 هـ/911 م(الحريري، 1987، صفحة 101) وكانت هناك ثوراتأخرى مدعمة من أموي الأندلس بسبب صراعهم مع العُبيديين على المغرب الأوسط والأقصى لأنّالأمويين كثيرا ما شجعوا الزناتين، وحرضوهم على الوقوف في وجه العُبيديين وأمدهم بالعون المالي في صراعهم ضد العبيدين(ابن خلدون، 2000، صفحة 374)

إنّ محاوله العُبيديين في إرهاق سكان البلاد المغرب بالضرائب ولد انفجارهم بالإضافة إلى محاولة فرض مذهبهم بالقوة فكان رفضهم للوجود العبيدي في البداية على شكل تمرد ثم تحولت إلى ثورات، وهذا ما حدث في ثورة صاحب الحمار(ابن عذارى، 1998، صفحة 216)التي تسبب في أضرارا كبيرة للحكم العبيدي حيث تعتبر ثورته من أعنف الثورات التي واجهها العبيديون ببلاد المغرب فقد انضم سكان المنطقة إليها، بسبب ما خلفته سياسة العُبيديين من أعمال عنف وترهيب ، غير أن العُبيديين تمكنوا من القضاء على هذه الثورة على يد المنصور سنة 355هـ/947م(الهنتاتي، 2004، صفحة 156) كما شهدت الدّولة العبيدية عدة ثورات أخرى كثورة سلجماسة في عهد المهدي وعادت مرة أخرى في عهد المعز لدين الله سنه 341 هـ/ 951 م، إضافة إلى ظهور تمردات أخرى ببلاد المغرب مثل انتفاضة أهل برقة سنه 320هـ/ 914 م وانتفاضه بني طلون بطرابلس في عهد القاسم سن ة 322 هـ/942م(لقبال، 1979، صفحة 429) والظاهر أن نهاية هذه الثورات تعني حصول الدولة العبيدية على غنائم كبيرة الى جانب مصادرة أملاك المتمردين كل هذا يصب في مصلحة السياسة المالية للعبيديين.

6.الخاتمة:

منخلالما سبق خلصنا إلى النتائج التالية:

- إنّالتواجدالعُبيديببلادالمغربكانقائمعلىالبحثعنمكانلتأسيسدولتهم،حيثوجدوابيئةجاهزةلاحتضانهمومنفذألنشرمذهبهمالشيعيفقدكانوابحاجةإلىالقوةالماليةوالعسكريةللعودةإلىمصرلمواجهةالخلافةالعباسية،لذلكعملتالدولةالعُبيديةعلىاس تنزافكلخيراتبلادالمغربمنخلالإتباعسياسةماليةمجحفةبحقسكانالمغرب.
- كماعملت الدولة العبيديةعلىتكوينجيشقويعصبيتهقبيلةكتامة،وتظهرأهميةهذهالقبيلةفينقلهم عند انتقالالدولةالعُبيديةإلىمصر،وهنايمكننالقولأنالوجودالعُبيديببلادالمغربوجدماكانيسعىإليهلتكويندولةوتحقيقحلمالعود ةإلىمصر،باعتبار

أنّالمالوالقوةالعسكريةالتيأنشأتهاالدولةالعُبيديةببلادالمغربكانأساسنجاحمشروعهمالسياسيوالمذهبيونقلهإلىمصر.

- إن السياسة المالية الاستنزافية هي أكثر شيء ركزت عليه الدولة العبيدية في بلاد المغرب بعد كشف الغطاء عن سياستها المذهبية المنحرفة، وفقدانها عدد كبير من الاتباع والانصار ، فقد كانت على يقين بحتمية زوال سيطرتها على بلاد المغرب،

وهذافعلاماحدثبعدانتقالهمإلىمصر،فبلادالمغربفيفترةلاحقةأعلنتانفصالهاعنالدولةالعُبيديةسواءسياسياًأومذهبياً

7. قائمة المراجع

- ابن حوقل النصيبي. (1992). *صورة الأرض* . بيروت: مكتبة الحياة للنشر.
- أبو العباس شمس الدين ابن خلكان. (دون سنة). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. بيروت: دار صادر.
- أبو حنيفة بن محمد بن منصور القاضي. (1986). *افتتاح الدعوة*. تونس: الشركة التونسية للنشر و التوزيع،.
- أبو بكر الشهرستاني. (1993). *الملل و النحل* . بيروت: دار المعرفة.
- المراكشي ابن عذارى. (1998). *بيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب* (المجلد 1). بيروت: دار الثقافة.
- جميلة بن موسى. (2011). *تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي و السودان الغربي من القرن 09م إلى 11ميلادي*. الجزائر: منشورات بلوترجسب.
- طه حسن إبراهيم. (1974). *عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية و مؤسس الدّولة الفاطمية ببلاد المغرب*. مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- عبد الرحمان ابن خلدون. (2000). *العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*. بيروت: دار الفكر.

- عبد العزيز سالم ،(2008.) تاريخ المغرب في العصر الإسلامي،الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة .
- عبد الرؤوف عصام الدين الفقي. (دون سنة). *تاريخ مغرب الأندلس*. القاهرة: مكتبة النهضة.
- لسان الدين ابن الخطيب. (1964). *تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط*. المغرب: دار الكتاب.
- محمود مقديش، (1988)، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواوي ، محمد محفوظ، بيرت: دار الغرب الإسلامي ، ط1.
- موسى لقبال. (1979). *دور كتامة في تاريخ الدّولة الفاطمية*. الجزائر: مكتبة طريق العلم.
- نجم الدين الهنتاتي. (2004). *المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري- الحادي عشر ميلادي*. تونس: منشورات البر الزمان.
- يوسف بن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن. (1963). لنجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. القاهرة: وزارة الثقافة المصرية .
- ابن الأثيرمحمدا (2012) .الكامل في التاريخ .بيروت :دار الكتاب العربي.
- ولد دادة محمد .(1977) .مفهوم الملك في المغرب من انتصاف القرن الأول إلى انتصاف القرن السابع . القاهرة :دار الكتاب للنشر.
- القيرواني ابن أبي دينار .(1869) .المؤنس في أخبار إفريقية وتونس .تونس :مطبعة الدولة التونسية .